

الاتجاه الإسلامي

في شعر سليمان بن سحمان

بقلم: ناصر بن سليمان الصماني

شاء الله أن تتوافر للشاعر الشيخ سليمان بن سحمان^(١) الصيلة بجانب كسب علمي شرعي وفير^(٢)، ليتبوأ مكانة متميزة تؤهله لأداء دور في غاية الأهمية في عصره، وهو تمكين عقيدة التوحيد والدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وشرح مبادئها القائمة أصلاً على العقيدة الإسلامية الخالصة، والرد على مناهنيتها، وتفنيد حجج وأباطيل خصومها، وهو ما أهله لأن «يكون شاعر الدعوة الوهابية بدون منازع»^(٣) و«حسان الدعوة السلفية»^(٤). فقد وظف ما يزيد على ثلث ديوانه وهو ما يشكل (٣٧٪) أي بواقع (٤١) قصيدة في ديوانه الذي يضم (١٢٠) قصيدة، وما يقارب ثلثي الديوان من حيث عدد الأبيات^(٥) في هذا المجال.

وإذا كان ابن سحمان قد بذل جل شعره في سبيل الدفاع عن مبادئ العقيدة الصحيحة التي قامت على أساسها دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وجزاه عما خير أجزاء - التي واجهت هجومًا فكريًا شرسًا منظمًا من خصومها من المتدعة والمخالفة وأصحاب الأهداف السياسية وغيرها^(٦) متسلها راية «المعركة الفكرية الدائرة بين قومه وأعدائه»^(٧)، فإنه يسير في أغراضه الشعرية الأخرى من مديح وهجاء ورثاء وشعر إخواني وسياسي في الاتجاه نفسه، وهو توجه إسلامي محمود واضح، يبيته لنا من خلال بعض أبياته التي يجسد فيها غايته من قول الشعر، ويحدد مسلكه، فهو لا يسعى إلى التكسب بشعره، أو يذل مدائحه طلباً لنوال، أو طمعاً في مكانة أو منصب أو جاه، فقد أوقف مدائحه على من أعلى من شأن هذا الدين، كما هجا من خالف هذا الدين - وجادل أهله، فهو «الشاعر الذي لا يبدو أي أثر لترويق أو تحسين المدائح يشم منه رائحة طلب الجائزة أو استعجالها»^(٨)، يقول^(٩):

أقول نعم إن بالشعر عارف إذا شئت أن أهجوبه من أناضله
وأبذل في ذات الإله قصائدي وأردى بها من شاع في الدين باطله
وما كنت مداحاً به متأكلاً ولا كنت ذمّاماً لمن قل نائله
خلا أنني أهجوبه ملحداً يجادلنا في ديننا ونجادله

وعده د. محمد بن سعد بن حسين من : «الشعراء [الذين] لا يذمون إلا في الله»^(١٠). ولا يمدحون إلا في الله» فهو يبذل قصائده نصرة لأهل الحق، وخذلانا لأهل الشر، راجياً بذلك رضوان ربه - جل وعلا - وغفران ذنبه، وستر عيبه، يقول :^(١١)

وما كنت أهوى أن أرى متصـدراً
ولكنني أرجو به الفوز والرضى
وأطلبـه غفران ذنبي وستره
لنصرة أهل الحق من كل قـسـائم
فهذا الذي أختاره متمسكاً
ومن كان لا يهوى انتصار ذوي الهدى
لأمدح أو للقليل ما أنا فاعله
وأرجو به الزلفى لدى من أسائله
لعيبي وإعطاء ما أنا آمله
بذلك لا آلو وإني لبـاذله
ويقضيه عقلي مسلكاً وأحاوله
وخذلان أهل الشر فالله خاذله

وفي معرض دفاعه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فيمن اتهمه بأنه يدعي النبوة، وأنه ضرب رجلاً أعمى كان يصلي على النبي (ﷺ)، يقول^(١٢):

أجسن في عقل امرئ منصف يرى
وقد شام ما يدعو إليه وماله
على من دعا غير الإله ومن نحا
تحيل ما تنمو إليه وتقتفي
بأن يدعي في باطن الأمر أنه
ودعواك في مزبور منك أمره
عليه صلاة الله ما هبت الصبا
فذا ظاهـر البطـلان يعلم رده
فمهلاً عدا الدين ليس يشينه
فلن يضع الأعداء ما الله رافع
فقد شاع في غرب البلاد وشامها
تصانيفه اللاتي شهرن وما دعا
بنور الهدى ما قلت في العلم الفرد
هناك من التصنيف في العلم والفرد
طرائق أهل الكفر من كل ذي صد
عليه من البهتان في كل ما تبدي
نبي ولكن ليس يدي به للجنـد
بقتل امرئ صلى على خير من يهدي
وما انبعث ورق الحائم بالغرد
على أنه زور من القول في النقد
ملفق مزبور من المين لا يجدي
ولن يرفع الأعداء من كان بالضد
وفي اليمن الميمون والسند والهند
إليه من التوحيد للواحد الفرد

وابن سحمان في هذا الجانب «أوضح علم حاول أن يطوع لغة الشعر للمجدل والنقاش العقدي . . مع إدراكه لصعوبة النقاش العقدي في الشعر وعرض الحجج . . .» (١٣)

وبيّن في بعض أبياته معتقده أهل السنة في نجد في مسألة أسماء الله وصفاته، في معرض رده على من اتهمهم بالتجسيم والتأويل، يقول: (١٤)

ونحن لم نَعُدْ آيات مبنية ونص ما قاله المعصوم حيث شفا
إن الإله له الأوصاف كاملة حقيقة بمعانيها كما وصفنا
فإنما وصفنا الله خالقنا بكل أوصافه، لم نبتدع جنفا
كفرًا وجهلاً وتجسيماناً ومنقصاً فليشهّدوا أننا قلناه غير خفا
وإن ذلك دين الله قال به من كان بالعلم والإنصاف متصفاً

وفي الحقيقة إننا لو عرضنا قليلاً من كثير من القضايا التي تصدى لها ابن سحمان في شعره لطلال بنا المقام، ولكننا نكتفي بما ورد، ونعرض لأشعاره الأخرى في موضوعات شتى تطفح بالمعاني الإسلامية. فهو يكشف في هذه الأبيات عن جانب من خلقه الرفيع، وتعامله المثالي مع الناس في محيط مجتمعه إذا كانوا من صحبه ولم يكونوا من أصحاب الردى والزندقه. يقول: (١٥)

ومن عاداتي والحمد لله وحده إذا ما أساء الظن بي من تلدددا
أغض عن العوراء طرقي وإنما (لكل إمري من دهره ما تعودا) (١٦)
إذا كان من صحبي وقومي وشيعتي ولا كان زنديقاً ولا من ذوي الردى

وبتذلل وخضوع كبيرين، وانقياد تام للعزيز الحميد، يدعو الشاعر الشيخ سليمان بن سحمان ربه الغفور الرحيم. فيقول: (١٧)

أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن أنا الفقير إلى رب السموات
أنا الكسير أنا المحتاج يا أملي جدد لي بفضلك واعف عن خطيئات
أنا الغريب فلا أهل ولا وطن أنا الوحيد فكن لي في ملهات
أنا العبد الذي ما زلت مفتقراً إليك يا سيدي في كل حالات
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ولا عن النفس لي دفع المضرات
مالي سواك ولا لي عنك منصرف ذكراك في القلب قرآني وآيات
أنت القدير على جهري بوصلك لي أنت العليم بأسرار الخفيات

وقد كاد الرثاء في شعره يقتصر على العلماء الذين نشروا العلم الشرعي وتصدوا لإزالة المنكرات ، يقول في رثائه لأحدهم راضياً بقضاء الله وقدره : (١٨)

حَبْرٌ تَقَضَّتْ بِهِ الْأَيْمَامُ وَانصَرَمَتْ
لِمَا نَمَى مَوْتُهُ النَّاعُونَ أَنَّ بِهِ
طَاشَتْ حُلُومُ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَانصَدَعَتْ
وَضَافِنَا بَعْدَهُ هَمٌّ فَأَرْقَنَا
إِنِّي وَقَدْ أَظْلَمْتُ كُلَّ الْبِلَادِ وَقَدْ
وَفَاضَ فِي النَّاسِ هَذَا الْجَهْلُ وَانْدَرَسَتْ
مَنْ فَقَدْ كُلَّ إِمَامٍ جَهْبَذَ ثَقَّةً
حَتَّى اغْتَدَى رَهْنٌ بِالثَّرَى أَرْمَا
رَيْبَ الْمُنُونِ أَنَاخَ الرَّحْلَ فَاخْتَرَمَا
مِنَّا الْقُلُوبُ لِهَذَا الْخُطْبِ إِذْ عَظَمَا
وَلَيْسَ عَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ مِنْهُزَمَا
عَمَ الْبَلَاءِ فَأَبْدَى الْقَلْبَ مَالِثَا
مَعَالِمَ الْعِلْمِ حَتَّى غَاضَ وَانصَرَمَا
قَدْ اعْتَنَى بِحِمَاءِ الشَّرْعِ فَاَنْتَظَمَا

ويقول في رثاء عالم آخر معدداً مآثره في العلم والعمل الصالح : (١٩)

فَعَبَدَ اللَّطِيفَ الْحَبْرُ أَوْحَدَ عَصْرِهِ
لَقَدْ كَانَ فَخْرًا لِلْأَنْبَاءِ وَحُجَّةً
إِمَامًا سَمًا مَجْدًا إِلَى الْمَجْدِ وَارْتَقَى
تَصَدَّى لِرَدِّ الْمُنْكَرَاتِ وَهَدَّ مَا
فَأُضْحَتْ بِهِ السَّمَحَاءُ يَبْسُمُ ثَغْرِهَا
إِمَامٌ هَدَى قَدْ كَانَ اللَّهُ دَاعِيَا
وَتَقَلَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا يَمَانِيَا
وَحَلَّ رَوَاقَ الْمَجْدِ إِذْ كَانَ عَالِيَا
بَتَّةَ عِدَاةِ الدِّينِ مَنْ كَانَ طَاغِيَا
وَيَحْمِي حَمَاهَا مِنْ شُرُورِ الْأَعَادِيَا
فَعَبَدَ اللَّطِيفَ الْحَبْرُ أَوْحَدَ عَصْرِهِ

وهذا الملمح الإسلامي البارز يلون معظم قصائده ، فهو إذا تذكر الماضي ، لم يتذكر منه إلا تلك المعاهد النيرة والرياض الزاهية المعطرة بتحلق طلبة العلم حول شيخهم يتلهون من معين العلم والمعرفة ، يقول : (٢٠)

تَذَكَّرْتُ وَالتَّذَكُّرُ تَهْيِجُ الْبَوَاكِيا
مَعَاهِدَ كَانَتْ بِالْهَدَى مُسْتَنِيرَةً
وَأَرْضَهَا بِالْعِلْمِ وَالِدِينَ قَدْ زَهَتْ
وَقَدْ أُنِيعَتْ فِيهَا الثَّمَارُ فَمَنْ يُرِدْ
وَأَنْهَارَهَا لِلْوَارِدِينَ شَرِيعَةً
وَتَظْهَرُ مَكْنُونًا مِنَ الْحَزَنِ ثَاوِيَا
وَبِالْعِلْمِ يَزْهَوُ رُبْعُ تِلْكَ الرُّوَابِيَا
وَأَطْوَادُ شَرْعِ اللَّهِ فِيهَا رَوَاسِيَا
جَنَاهَا يَنْلُهَا وَالْقُطُوفُ دَوَانِيَا
مَنْهَا لَهَا كَالشَّهْدِ فَعَمَّ صَوَافِيَا
تَذَكَّرْتُ وَالتَّذَكُّرُ تَهْيِجُ الْبَوَاكِيا

وهو في مواعظه يحذر من الغفلة والانغماس في ملذات الدنيا، وعدم الاستعداد للرحيل إلى دار القرار والجزاء، يقول: (٢١)

أغررتك دنياك الدنية راضياً بزهرتها حتى أبحت المحرمات
تروق لك الدنيا ولذات أهلها كأن لم تصر يوماً إلى القبر معدماً
خلياً من المال الذي قد جمعه وفارقت أحباباً وقد صرت أعظماً
ولما تقدم ما ينجيك في غد من الدين ما قد كان أهدي وأسلماً

وبعد فقد كان الشاعر الشيخ سليمان بن سحمان طوال سنين عمره الذي قارب الثمانين عاماً مثلاً مشرفاً للشاعر الملتزم المتمثل قيم الإسلام.

كان دينه هو همّه وشغله الشاغل، وفي هذه الفلك كانت تدور أشعاره التي يتضح كل بيت فيها، بل كل كلمة بريق المعاني النيرة والتعاليم السماوية، فقد كان شعره دفاعاً عن العقيدة، وتقريراً لمبادئها، ونصحاً للغافلين، وثناءً على من أعلّى شأن هذا الدين، وهجاءً للمبتدعة والمخرفين والعاصين. فهو امتداد لكوكبة من الشعراء الإسلاميين الذين بذلوا شعرهم، وسخروا طاقاتهم لخدمة هذا الدين وأهله مؤكدين على دور الشعر أخادف السوي في إصلاح المجتمعات، ونشر الوعي بينهم. فهذا السلاح المؤثر إذا خرج من غمده فهو نصره للدين الإسلامي القويم أو على الأقل لا يكون عوناً للشيطان وأهله، وإلا فليظل في غمده إلى الأبد.

الهوامش

- (١) ولد سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الفرعي الخثعمي في بلدة «السقا» بفتح السين أو ضبتها من قرى أبها. في جنوبي المملكة العربية السعودية سنة (١٢٢٩ هـ) ثم التقى مع والده إلى الرياض وظل بها حتى توفي - رحمه الله - سنة ١٣٤٩ هـ عن ثمانين عاماً قضاها في التدريس والتأليف والجهاد الفكري.
- (٢) فهو من كبار العلماء في نجد، وصاحب تأليف قيمة نافلت عن (٥٠) مؤلفاً.
- (٣) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد. د. حسن أهويمل. مطابع الفرزدق. الرياض - الطبعة الأولى. ١٤٠٤ هـ، ص ١٥٥.
- (٤) قادة الفكر الإسلامي عبر القرون. عبد الله الرويشد. رابطة الأدب الحديث. الطبعة الثانية (د. ت) ص ٤٧١.
- (٥) حيث بلغت (٥٠٨٩) بيتاً من أصل مجموع أبيات الديوان البالغ (٨٢٣٩) بيتاً.
- (٦) انظر: ما كتبه عبد الرحمن بن عبد اللطيف في «دعوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن الوهاب» دار طيبة. الرياض، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. صفحات ٧١ - ٧٤ حيث توسع في ذكر الدوافع المختلفة التي جعلت هؤلاء يتلون من الدعوة.
- (٧) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦ م. ص ٦١.
- (٨) الشعر في طلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي. الرياض، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م. ص ١٢٦.
- (٩) الديوان، مطابع الأهرام، القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، ص ١٧٧.
- (١٠) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد. د. محمد بن سعد بن حسين. دار البهامة. الرياض. الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. جزء الأول. ص ٣٥٤.
- (١١) الديوان: ص ١٨٧.
- (١٢) المرجع نفسه: ص ٥٢.
- (١٣) الشعر في طلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، الحامد. ص ١١٣.
- (١٤) الديوان: ص ١٣٢.
- (١٥) المرجع نفسه. ص ٣٧٤.
- (١٦) هذا شعر بيت تلمسي وعجزه: «وعادات سيف الدولة الطعن في العدا» ورواية أخرى: «وعادة»، شرح الديوان للديفوني. دار الكتب العربي. بيروت. ١٣٩٩ هـ.
- (١٧) آخره الثاني. ص ٣.
- (١٨) المرجع نفسه. ص ٤٧١.
- (١٩) المرجع نفسه. ص ٤٩٤.
- (٢٠) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢١) المرجع نفسه، ص ٢٨١.

وطن الإيمان والحرية

محمد عاكف أرسوي*

إن يكن خصمي الكافر مُدَجَّجاً بالسَّلاح
فإنَّ وطني - قلبي - زاخراً بالإيمان
وَيَا نِعْمَ الحِصْنَ والملاذ

لا تخف! لن تغلب الإيمان حضارة هاروية
كقول تساقطت أنيابها غير ناب نخرة
لا تخف يا أخي، واصمد، فلن نسمح لنذل
أن يطأ هذا الأديم

صُنْهُ بصدرك، وتصدَّ للعَدُوِّ الأثيم
النصر فجرأت... وعد من الرحمن الرحيم
أنت شبل مجاهد قضى على هذا الأديم
فلا تتخلَّ عن وطنك

لو عصرت حفنة من ترابيه
لتدفقت منها دماء الشَّهَدَاءِ
سبحانك ربي، لك روعي، ومهجة قلبي
وما ملكت يدي

لا تحرمي وطناً مؤمناً
إلهي... إليك تتضرع روعي الخاشعة
ألا تدنس مسجدي يد كافر مريد
وأن يتعالى على أرضي هدير الأذان
في شهادتيه عطر الإيمان

حتى ولو كنت في قهري فأحس خشوع الساجدين
وإن كنت في نعشي فسينطلق النعش كروح منسابة
وأمتلئ رضا وفخراً

بـوطن الإيمان... وطن الحرية

* شاعر إسلامي محب من تركيا. كان معاصر جيل صوفي وحافظ. له ديوان شعر إسلامي كتب باللغة التركية. صدرت دراسة عنه بعنوان «شاعر الإسلام محمد عاكف أرسوي»
للدكتور عبد السلام فهمي

مقتطفات شعرية

فروخ أحمد *

(١)

دُعائي لك اللهم
أن يكون قلبي جدول ماء . . . يروي الظمأ
وأن تكون حياتي مثل السراج
لا ينطفئ حتى يمنح الآخرين
آخر شعاع من نور زيته
دُعائي لك اللهم
أن أكون نافعا لخلقك
هاديا لدربك
وأن يكون شعري
منارة الحق والجمال

(٣)

أحبائي . . . من مشرق الشمس إلى مغربها
تعالوا نفتح قلوبنا ونمدّ بينها الجسور
تعالوا نزرع غابة كبيرة
ونعطي الآخرين من أغصانها أغراساً كريمة
تنبث الأزهار في قلوبهم
وينعم العالم بأطيب الثمار وأجمل الظلال
أحبائي . . . لقد منحنا الله شرعه القويم
وشرفنا بالريادة
فاجمعوا جداولكم العذبة
واصنعوا منها نهراً عظيماً
يسقي كل الظامئين . .

(٢)

مرّة . . . هبّت في أعماقي ثورة
كي أعرف نفسي في هذا الكون الواسع
فنزلت إلى السوق
عُصت في زحمة البيع والشراء
وبعد حين - رأيت الجميع يتوقفون
سألهم : لماذا ؟

* فروخ أحمد : شاعر من منطقة النعالي في الهند . ولد عام ١٩١٩ م وتوفي عام ١٩٧٦ م ، كانت له ثقافة إنجليزية وفارسية وعربية وإجليزية . له شعر إسلامي جيد وكثير . - شعراء - عرج - في بغداد - ١٩٨٥

وفصايا إسلامية عامة